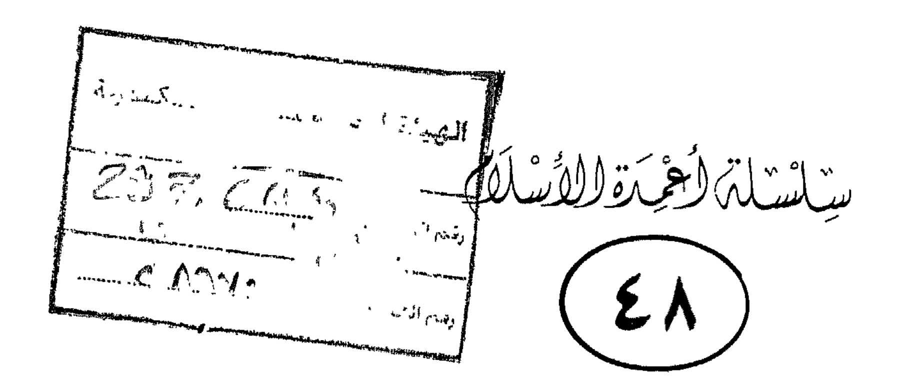
إعداد
حلمي علي شعبان

٤٨

أعمدة

أبو ذر الغفاري

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



سلسلة أعمدة الإسلام

٤٨

أبو ذر الغفاري

إعداد

حلمي علي شعبان

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم

«أعمدة الإسلام» سلسلة دينية تاريخية ثقافية. فيها أتناول سير شخصيات عظيمة في التاريخ الإسلامي ساهمت في توطيد دعائم الدين الحنيف وكان لها فضل في شرف السبق إلى الإسلام والاشتراك في ميادين الجهاد.

وهي مكتوبة بأسلوب قصصي مشوّق ومسندة بأحداث تاريخية مستقاة من مصادر أساسية في تكوين التاريخ الإسلامي.

ومهما كتب حول سير أولئك العظام، فإن كل جيل طالع من المسلمين بحاجة إلى معرفة تاريخه وكيفية انطلاق دينه في تلك السيرة المباركة التي قادها أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

أما سيرة رسول الله ﷺ. فقد أُدرجت ضمن سلسلة «الأنبياء».

أسأل الله تعالى التوفيق.

وآمل أن تكون سيرة أبطالنا العظام خير معين لنا في حياتنا وحياة أولادنا وأحفادنا. فنكون خير خلف لخير سلف.

حلمي شعبان

ابو ذر الغفاري

١ ـ اسمه

هـــو جنـــدبُ بنُ جنـــادةَ بنِ قيس بنِ عمـــرو بنِ مُليلِ بنِ صعير بنِ حرام بنِ غفار. من قبيلةِ غفار.

وكنيتُه: أَبو ذرّ الغفاري.

وأُمُّه: رملةُ بنتُ الوقيعة من بني غفار أَيضاً.

٢ ـ شخصيّتُه

يُعتَبَرُ أَبا ذر، شخصيةً فريدةً[١] من شخصيّاتِ شبهِ الجزيرةِ العربيةِ. قلّ أَنْ يوجَد لهُ شبيهٌ في جيلهِ والأَجيالِ التي تلتْهُ.

فهو قبل الإِسلامِ، كانَ دائمَ التفكيرِ بالعاداتِ العربيّة، وبطُرُقِ العباداتِ التي تَجْعَلهُم يسجُدونَ لأصنامٍ لا تضرُّ ولا تنفع. ولذا لم يكُنْ ميّالاً للسجودِ للأصنام، بل كان ينفرُ[٢] من تلكَ العبادة، لاعتقادِه أنها ليسَت العبادة الحقيقيّة.

كما أَصْبَحَ بعد إِسلامِهِ كثيرَ الإِخلاصِ لدينهِ مُتَمَسّكاً بخشونةِ العيْشِ والزُّهْدِ[٣] في الحياةِ الدنيا، مدافِعاً عن الحقّ ولو كلّفهُ ذلكَ حياتَه.

وقد وهَبَهُ اللَّهُ قوةً جبّارةً، فكانَ مقاتِلاً بارعاً ومجاهِداً مندفعاً في سبيلِ اللَّهِ.

فقد كانَ طويلَ القامة، عريضَ الصّدْرِ. نحيفَ

(١) فريدة: قليلة ونادرة.

(٢) ينفر: يعرض.

(٣) الزهد: الرغبة عن الشيء وتركه.

الجسم. أَسْمَر اللون. ضخْمَ القدمَيْنِ يمْشِي ببطء كأنَّه ينسابُ انسياباً.

٣ - إسلامه

كانَ أَبو ذر ينتَظِرُ ظهورَ نبيٍّ يدعو إلى الحقّ والسّلامِ وتحرير الإنسان من الظلمِ الذي يلقاهُ من أخيه الإنسان.

لذا أَمْضَى معظمَ وقْتِهِ في الصّحراءِ، عازِفاً[١] عن عبادةِ الأَصنام. يتسقّط أَخبارَ القوافِلِ التجاريّة، علّهُ يَسْمَعُ عن نبي جديد.

ذلكَ أَنّ قبيلةَ «غفار» تُقيمُ مضاربها في وادي «ودّان» إلى الشّمالِ من مكة المكرّمة، وكانَتْ تعيشُ على ما تبذلُهُ لها القوافِلُ التجاريّةُ من أَموالٍ لقاءَ حمايَتِها وعدمِ التعرُّض لها.

وأَحياناً كانَتْ تقومُ بقطْعِ الطريق وسلْبِ ما

---

(١) عازفاً منصرفاً.

تستطيعُ سلْبهُ وفقَ العادةِ الشّائعةِ في الجزيرةِ العربيةِ قبل الإسلام.

وفي أَحدِ الأَيّام سمِعَ أَبو ذر عن رجلٍ ظهَرَ في مكّةَ المكرّمة، يدعو إلى دينٍ جديدٍ يُخالِفُ دينَ أَجْدادِهِ وآبائه. فأَراد أَنْ يتحقّقَ من أَمْرِهِ فقال لأخيه «أَنيس»:

ـ ارْكَبْ إلى هذا الوادي. فاعْلَم لي عِلْمَ هذا الرجُل الذي يزْعم أَنّه نبيٌّ يأْتيهِ الخبرُ من السماء. واسْمع شيئاً من قوْلِهِ ثم ائتني به.

وذهب أَنيس إلى مكّةَ المكرمة، وهناكَ استطاعَ أَنْ يَجْتَمِعَ بمحمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ، وسمِعَ منهُ بعضَ أَقْوالِهِ. ثم عاد إلى أَخيهِ أَبي ذرّ الذي تلقّفَهُ[1] يسأَلُهُ بلهفةٍ[2] المشتاقِ إلى سماعِ الأَخبار الصحيحة:

ـ ماذا رأَيْت؟... ماذا سمِعْتَ؟

فقال له أَنيس:

ـ رأَيتُ رجلًا يدعو إلى مكارمِ الأَخلاقِ ويقولُ كلاماً جميلًا ما هُوَ بالشّعر.

---

(١) تلقفه: تناوله برغبة.

(٢) بلهفة: بشوق المتحسر.

فعادَ يسألَهُ:

ـ وما هُوَ رأيُ الناسِ فيه؟

فأجابَ:

ـ يقولونَ إنّه ساحِرٌ وكاهنٌ ومجنون.

ولكنّ أبا ذر أراد أنْ يتحققَ من الأمْرِ بنفْسِهِ، لأنّ أخاه لم يستطِعْ نَقْلَ الحقيقةِ إليه. فعاد يقولُ لأخيه:

ـ واللّهِ ما شَفَيْتَ لي غليلاً[1].... ولا قَضَيْتَ لي حاجة... وسأنْطَلِق بِنَفْسي لأتحقّق من الأمر. فهَلْ تكفل عيالي[2] أثْناء غيابي؟

فقال له:

ـ سأتَكَفّلُ بعيالِكَ ولكن انْتَبِه من أهلِ مكة. وكُنْ على حَذَرٍ منهم.

وتزوّدَ أبو ذر بزادٍ خفيفٍ، وحَمَلَ معهُ قُرْبَةَ ماء حتى وصلَ مكةَ المكرَّمة، وقصد المسجدَ علّهُ يَلْتَمسُ[3] النبيّ عليه السلام، لأنّه لا يعرِفهُ. وكرِهَ أنْ

(١) ما شفيت لي غليلاً: معناها هنا لم تؤمن لي حاجتي.

(٢) تكفل عيالي: تهتم بهم وتؤمن حاجتهم.

(٣) يلتمس: يطلبه ويراه.

يسأَل عنهُ حتى لا يتعرّضَ للأذى كما حذّرَه أخوه.

وبقي في المسجـدِ حتى أَدْرَكَـهُ الليـلُ دونَ أنْ يستـطيعَ رؤْيـةَ النبيِّ الكريم. وصـدفَ أَنْ رآهُ عليٌّ بنُ أبي طالب رضي اللَّهُ عنهُ. فعـرفَ أنّه غـريب. . فقال له:

ـ اتْبعني أَيُّها الرجل.

فتَبِعَهُ أَبو ذر، ومضى معهُ حيثُ باتَ عندَهُ ليْلَتَهُ.

وفي الصّباح عاد إلى المسجدِ بعدَ أَنْ حَمَلَ قُرْبَتَهُ وزادَهُ دونَ أَنْ يتبادَلَ مع عليّ أَيّ كلام.

وأَمْضى يومَهُ الثاني دونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ مشاهَدَةَالنبيّ والتعـرُّف عليه. وعنـدما أَدْرَكَـهُ الليل اضـطَجَـعَ[1] في مكانه.

وشاهَدَهُ عليٌّ كرم اللَّهُ وجْهَهُ. وطلب إِليْهِ أَنْ يتْبَعَهُ حيثُ أَمْضى ليْلَتَهُ الثانية عنده.

وفي اليومِ الثّالثِ تكـرّر الأَمرُ مـع أَبي ذر حتى كانَ المساء وشاهَدَهُ علي، فتقدّمَ منهُ وسأَلهُ:

---

(١) اضطجع: نام.

ـ ألا تُحَدّثني ما الذي أَقدَمَكَ[1] إلى مكة؟

فقال أَبو ذر:

ـ إنْ أَعْطَيْتَني عهداً وميثاقاً لتُرْشِدني إلى ما أَبْحَثُ عنهُ.... أَخْبَرْتُك.

فقال لهُ علي:

ـ لكَ عهْدِي وميثاقي.

عِنْدَها تشجّع أَبو ذر وقال:

ـ واللَّهِ لقد أَتَيْتُ من بلادٍ بعيدةٍ بعدَ أَنْ سمِعْتُ بظهورِ رجُلٍ يبْدو لي أَنّه النبيُّ المنتظَر.... أَرَدْتُ أَنْ أَراهُ.... أَنْ أَسْمَعَ منه.

عند ذلكَ تهلّلَتْ أَساريرُ عليّ وقال له:

واللَّهِ إنّه حق... وإنّه لرسولُ اللَّهِ.

والآن اتْبعني لتُمْضِي ليْلَتَكَ عِندي. فإذا أَصْبَحْنَا اتْبعني حيثُ سرت حتى تدخُلَ مَدْخَلي.

وفي الصباح انْطَلَق عليٌّ رضي اللَّهُ عنه وأَبو ذر يقْتَفي آثارَهُ حتى دخَلَ على النبيّ عليهِ السلام... ودَخَلَ معهُ.

---

(١) أقدمك: أتى بك.

وكانَ الرسولُ ﷺ جالساً وحْدَهُ فَدَنا[1] مِنْهُ وجَلَس بجانبِهِ وحيّاه قائِلًا:

ـ نَعِمْتَ صباحاً يا أخا العرَب.

فأجابـهُ الرسولُ الكريم:

ـ وعليْكَ السلام.

فقال أبو ذر:

ـ سمعْتُ عنكَ.... وأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ ما تُبشّر به. فأنشِدني بعضاً منه.

فأجابه الرسولُ عليه السلام:

ـ ما هو بشعرٍ فأُنْشِدَك. إنّه قـرآنٌ مُنَزّلٌ من ربّ العالمين.

وبـدأ يقرأ آيـاتٍ بيّناتٍ، وأبـو ذر يُصغي وعينـاهُ مغرورقتان[2] بـالدمـوع. ثم هَتَفَ بلهْجَةٍ كلُّهـا خشوعٌ وإيمان:

ـ «أَشهَدُ أَنْ لا إِلَه إلّا اللَّه...

وأَنّ محمداً رسولُ اللَّهِ».

---

(١) دنا: اقترب.

(٢) مغرورقتان: مليئتان.

وأَحَسّ أَبو ذر براحـةٍ مطْلَقَـةٍ تُسَيْطِرُ على روحـهِ وكيـانِه بعـد أَنْ أَدْرَكَ الحقيقـة، وبلغَ الإيمـان. وأَحَبّ الـرسولُ المصْـطفى أَنْ يتعرّف إلى الـرجـلِ الجـالسِ بجانبِهِ فسأَلهُ:

ـ من أَنْتَ يا أَخا العرب؟

فأَجاب أَبو ذر:

ـ من قبيلة غفار.

فبـدَت الدهشـةُ على وجـهِ الـرسـولِ ﷺ وطيفُ ابتسامةٍ تغْزو شفتَيْهِ وقد أَخَذَهُ العجب...

أَيُمْكِنْ لشخصٍ من قبيلةِ «غفـار» أَنْ يقـدم إلى مكّةَ ليُشْهِرَ إِسْلامَهُ؟ وغفـار مشهورةٌ بجـلافةِ[1] رجـالِها وقسـاوَةِ أَطْباعِهم وانصـرافِهِم إلى قَطْعِ الـطُّرق وسَلْبِ القوافل. فَهُـمْ مضرِبُ المثلِ بالسّطو والاستيـلاءِ على مالِ الغير.

ولندَعْ أَبا ذر يصفُ لنـا تِلْكَ الدّهشـة التي بدَتْ على وَجْهِ الرسولِ عليهِ السلام، إِذ قال:

ـ «... فجَعَـل النبيُّ ﷺ يرفـعُ بصرهُ ويصـوّبـهُ

---

(١) الجلافة: الخشونة في المعاملة.

تعجُّباً لما كـانَ من غفار ثم قـال: «إنّ اللَّهَ يهْدي من يشاء».

حقاً إنّ اللَّهَ يهْدِي من يشاء.

وها هو يَهْدِي أَبا ذرّ إلى الإسلام.... والإسلامُ ما زالَ غضّاً(١) طريّاً في أَوّلِ أَمْرِهِ وبدايةِ الدّعوةِ، فقد كانَ الخامِس أَو السادسَ بينَ المسلمين.

٤ ـ أَوّلُ صيحةِ حق

وحَصَلَ أَبو ذرّ على غـايتهِ من القـدومِ إلى مكة المكرمة، فقد استبانَ طريق الحقّ واتَّبعَ سبيلَ الهِدايـةِ وسَلَكَ دَرْبَ الرَّشاد.

وفي ذلكَ الوقت كـانَ النبيُّ عليْهِ السـلام يَدْعـو للإسْلام سِرّاً وبشكلٍ خفيّ وبصوْتٍ يكادُ يبلُغُ الهَمْس.

والتفت أبو ذر نحو الرَّسولِ الكريمِ وقال لهُ:

ـ بِمَ تُكَلّفني يا رسول اللَّه؟..

---

(١) غضاً: ناعماً ورقيقاً والمقصود هنا أنه كان في بدايته وبداية كـل شيء تكون ضعيفة ناعمة.

فقال له:

ـ تذهَب إلى قومِكَ وتَدْعوهُم للإِسْلام وتَمْكثُ[1] هناكَ حتى يبْلُغَكَ أَمْري.

ولكنّ أبا ذر الذي جُبِل على طبيعةٍ مُتمرّدةٍ[2] ونَفْسٍ صريحةٍ وروحٍ نقيّةٍ واضحة. لم يشأْ أَنْ يُبْقي الإسلامَ في الخفاء. أراد أَنْ يُعْلِنَ إسلامَهُ على الملإ[3] ويطْلِقَ صَرْخَةَ الحق في وَجْهِ الكافرينَ المُشْركينَ مَهْما بلغَتْ قُوَّتُهم وكانَ عدَدُهُمْ.

فقد سبق له أَنْ تَمرَّدَ على عبادةِ الأَصنامِ فيما مضى. وها هُوَ اليوم يرْفُضُ أَنْ يُبقي أَمْرَ إسلامِهِ سراً يُخْفيهِ في مكّةَ وفي كلّ البلاد. بعدَ أَنْ هَداهُ اللّهُ إلى نورِ الحقّ والصّواب.

فقال للرسولِ ﷺ:

ـ والذي نَفْسي بيدِهِ لا أَرْجِعُ إلى غفار قبْلَ أَنْ أَصْرُخَ بالإسلامِ في المَسْجِد.

وأَشْفَقَ عليْهِ الرسولُ المُصْطفى لعِلْمِهِ بما سيُلاقيهِ

---

(١) تمكث: تبقى.

(٢) متمردة: رافضة ـ ثورية.

(٣) الملأ: الناس.

من الكِفّارِ وبما سيُلحقونَهُ بِهِ من أَذِيّةٍ جسديّةٍ. . . .

ولنَتْـرُكَ أبا ذرّ يـرْوي لنا قِصّـة أَوَّلِ صَيْحـةِ حقٍّ أُطْلِقَتْ في الكعبةِ إذْ قال:

ـ «أقمْتُ بعْدَ ذلكَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في مكة. فعلّمني الإِسْلامَ. وأَقْرأني شيئاً مِنَ القرآنِ ثم قال لي:

ـ لا تُخْبِر بإِسْلامِكَ أحداً في مكة، فإِنّي أَخافُ عليْكَ أَنْ يقْتُلوكَ.

فقلتُ:

ـ والـذي نَفْسي بيـده لا أَبْـرَحُ مكّة حتى آتِيَ المسجدَ وأَصْرُخ بدَعْوَةِ الحقّ بين ظهراني[1] قُرَيش.

فسكَتَ الرّسول ﷺ.

فجِئْتُ المَسْجِـدَ وقـريش جلوسٌ يتحـدّثـون فتوسّطتهُم ونادَيْتُ بأعلى صوتي:

ـ يا معشر قُرَيْش. . .

أَشْهدُ أَنْ لا إِلَه إِلّا اللَّه. . . . .

وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه. . .

(١) ظهراني: جمعهم.

فما كادَتْ كلماتي تُلامِسُ آذانَ القومِ حتى ذُعروا جميعاً وهبّوا من مجالِسهم وقالوا:

ـ عليْكُمْ بهذا الصابِىء.

وقاموا إليّ وجَعَلوا يَضْربونَني لأموتَ... فأدْركني العبّاسُ بنُ عبدِ المطلب عمُّ النبيّ وأكَبَّ[1] عليّ ليَحْميني مِنْهُم ثم أَقْبَل عليْهِم وقال:

ـ ويلكم...

أَتَقْتلُون رجُلاً من «غفار»... وتَمُرُّ قوافِلكُم عليْهِم.

فأقْلعوا عنّي[2].

ولمّا أَفَقْتُ جِئتُ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فلما رأى ما بي قال:

ـ أَلَمْ أَنْهَكَ[3] عن إعلانِ إسْلامِك؟

فقُلْتُ:

ـ يا رسولَ اللّه، كانَتْ حاجة في نفسي فَقَضيْتُها...

(١) أكب: انحنى.
(٢) أقلعوا عني: تركوني.
(٣) ألم أنهك: ألم أمنعك.

فقال:

ـ الْحقْ بقَوْمِكَ وأَخْبِرهُم بما رأَيْتَ وسَمِعْتَ وادْعُهُمْ إلى اللّه لعلّ اللّه ينْفَعُهُم بكَ ويُؤْجِرُكَ فيهم. فإذا بلغَكَ أَني ظَهَرْتُ فتعال إليّ...»

٥ ـ الداعية

وعادَ أَبو ذرّ إلى مضارِبِ قبيلتِهِ في وادي «ودّان» وقد صمّمَ على هدايةِ أَفْرادِها ودَعْوَتِهم للدُّخولِ في الدينِ الجديد بعد أَنْ وَهَبَ نَفْسَهُ للإسلام.

وكانَ أَوّل من استقْبَلَهُ أَخوه أَنيس فاحْتَضَنَهُ وفيه شوقٌ شديدٌ إِلَيْهِ وإلى أخباره، فسأَلَهُ:

ـ أَخي.. ما صَنَعْتَ؟

فأَجابهُ:

ـ لقد هداني اللّهُ إلى الإسلام. إِنّه نبيٌّ رسول... وهادٍ أمين.... صادقٌ صدوق... فالحَمْدُ للّهِ على الإِسْلام.

فسأَلهُ أَخوه:

ـ واللّهِ لقد شَوّقْتَني إليه... هلى أَسْتطيعُ أَنْ

أَدْخُلَ في دينكَ يا أَخي؟

ـ فقال لهُ أبو ذر:

ـ نعم تستطيع يا أخي... الحمدُ للَّهِ الذي شَرَح صَدْرَكَ للإسْلام..

وعلّمَه النُّطْقَ بالشهادةِ.

وانطلقا إلى أُمّهما رملة، وكانتْ سيدةً عاقلةً فاضلة. ودعياها إلى الإسلام فلبّتْ دَعْوتَهُما وأَسْلَمَتْ أيضاً.

وتكوّنَتْ في غفار أُسرةٌ مُسْلِمَةٌ تَعْمَلُ على هدايةِ الناسِ والدّعوةِ للدينِ الجديد...

حقاً إنّ اللَّه يهدي من يشاء....

فمن كان يُصَدِّق أَنْ تَبْرزَ في «غفار» تلكَ القبيلة التي كان اللّيْل حليفهَا للسّطوِ والسّلبِ وقطْعِ الطرق... أَنْ تَبْرُزَ أُسرةٌ مسلمةٌ مؤمنةٌ تدعو إلى الإسْلام!!!

وبدأ الغفاريّون يَسْتَجيبون لِدَعْوةِ أَبي ذرّ وأَخيهِ وأُمّهِ.... ودخلوا الإسْلامَ بأَعدادٍ كبيرة، وما أَرْوَعَهُ من مَشْهَدٍ مباركٍ في ذلكَ الوادي عِنْدَما كان يحينُ موعِدُ الصّلاةِ، فيقفُ الجميع خَلْفَ أَبي ذر يُصَلّونَ ويقرؤونَ

القرآن كما علّمَهُ رسولُ اللّهِ ﷺ.

وبعدَ أنْ دخَلَ من «غفار» خَلْقٌ كثيرٌ في الإسْلامِ أرادَ أبــو ذرّ أنْ يَنْقُـلَ الـدّعـوَةَ إلى جيـرانِـه من بني «أَسْلَم»... فقـد نَصّبَ نَفْسَـهُ داعيـةً إلى دينِ الحقّ والسّلامِ وعبادةِ الـواحِدِ الأَحَـد... ونبذِ الشّـرْكَ وتَرْكِ الكُفْر...

وفي مضارِبِ بني «أَسْلم» اسْتجابَ النـاسُ لأبي ذر. ودخلوا دينَ اللّهِ أَفراداً وأفواجاً...

وكَبُرَ عدَدُ المسلمينَ في ذلكَ الوادي...

وكانَ النبيُّ عليْهِ السلامُ قد قطعَ شَوْطـاً كبيراً في نَشْرِ الرسالةِ، وتوسيعِ الدّعْوةِ بعد الجَهْرِ بها[1]...

فقد هاجَرَ إلى المدينةِ المنوَّرةِ... وخاض حُروباً قـويـة وقـاسيَـةً ضـدّ قـريشٍ وحلفـائِهـا... بـدر... أحد.... الخندق...

وبدأَتْ دولةُ الإسلامِ تتكوّنُ وتقـومُ على التّقْوى والإيمان.

وعلمَ أبو ذرّ بكُلّ ذلك... فجَمَعَ قـوْمَـهُ وبـنـي

---

(١) الجهر بها: إعلانها والإفصاح عنها.

«أَسْلَم» وشكّلَ قافلةً كبيرةً باتّجاهِ المدينةِ المنوَّرةِ.

وكـانَتْ القافلةُ تسيرُ برجـالها ونسـائها وأَطْفـالِها وشُيـوخِها ورواحِلهـا، وقد حَجَبَ الغبـارُ نورَ الشّمْسِ لضخـامَتِها. كـانـوا يسيـرون. وهُمْ يكَبّـرون اسْمَ اللَّهِ سبحـانَهُ وتعـالى... ويُوَحّـدونه، ويحْمـدُونَهُ ويصلّون على رسولِه.

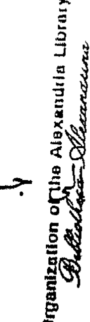
وعِنْدَما دخلوا المدينةَ قادهُم أَبو ذرٍّ إلى المسجدِ حيثُ كانَ الرسولُ ﷺ قد جَعَل مقامَـهُ فيه. واستَقْبَلَهُمْ بفرحٍ كبيرٍ وقد أَدْرَكَ مدى إِخْلاصِ أَبي ذرّ للإسـلام. وأَخذ يسْتَعْرِضُ تِلْكَ الوجوه المشـرقة المؤمنـة بنظراتِ الحنانِ والمحبّةِ وقال يخاطِبُ أَفرادَ قبيلةِ «غفار»:

ـ «غفار... غَفَرَ اللَّهُ لها».

ثم التَفَتَ نَحْوَ بني «أَسْلَم»... وبِنَفْسِ النّظراتِ الحانية العطوفةِ والصّوْتِ المُحِبّ الصادقِ.... تابَعَ:

ـ «وأَسْلَم... سالَمَها اللَّه».

٦ ـ عدوّ الاستغلال



ومَكَثَ أَبـو ذرٍّ في المدينـةِ المنوَّرةِ إلى جانبِ

رسـول ِ اللّهِ ﷺ. فأَحَبّـهُ وقـرّبَـهُ منـهُ حتى أَطْلَقَ عليـه لقب: «خليل الرسول».

فقـد طَلَبَ من النبيّ عليـهِ السّـلام أَنْ يـظَلّ إلى جوارِهِ. . . . يَخْدمُـه ويقضي له حـاجاتِـه ويتعلّم منه. . وأَذِنَ لـه النبيّ بـذلـكَ فكـان ذلـكَ المـرافِقَ المخلص والمؤمِن الصادِق في كلّ ِ أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ. . .

وفي أَحدِ الأَيام سأَلهُ النبي:

ـ يا أَبا ذر. . .

كيف أَنْتَ إذا أَدْرَكْتَ أُمراء يستأْثِرونَ بالفَيْء[1]؟

فأَجابَهُ فوراً وبِلا تردُّدْ:

ـ إذاً والذي بعَثَكَ بالحقّ لأضْرِبَنّ بِسَيْفي.

وأَدْرَكَ الـرسولُ ﷺ مـدى صِـدْقِ أَبي ذر ونقـاوةِ نَفْسِهِ وعظيمِ استقامَتِه. . . واستَنْتَجَ ببصيرتِه الثاقبـة أَنّ أَبا ذر سيُجابِهُ المتاعِبَ في حياتِه مع الأُمراءِ والحكّـام ِ فقال لهُ:

ـ أفلا أَدُلُّكَ على خيرٍ من ذلك؟. . . .

اصْبرْ حتى تَلْقاني .

(١) يستأثرون بالفيء: يأخذون لأنفسهم الواردات من الأموال والغنائم.

وبقيت تلكَ النّصيحةُ نِبْراسَ[1] حياةِ أبي ذر، والنورَ الذي يُبَيّنُ طريقهُ.

وشارَكَ أبو ذرّ في بَعْضِ المعارِكِ في حياةِ النبيّ عليهِ الصلاة والسلام ومِنْها غزوةُ تبوك حَيْثُ ظهَرَ إخْلاصُ أبي ذر ومدَى استعْدَادِهِ للتّضْحِيةِ في سبيلِ اللّه تعالى . . .

ذلكَ أنّه لما سارَ رسولُ اللّهِ ﷺ إلى تبوك على رأسِ جَيْشٍ من المسلمين . . . وكانَ بعضُ المُنافقينَ يُحاولونَ التملُّصَ[2] من الذّهابِ مَعَهُ، ومُتابعةِ الطريق . . فكانَ إذا تخلّفَ رجُلٌ قيل:

- يا رسولَ اللّه . . . تخلّفَ فلان .

فيجيبُهم :

- دعوه . . . إنْ يكُنْ فيهِ خيرٌ فسيُلْحِقُهُ اللّهُ بِكُمْ . . . وإنْ يكُنْ غيرَ ذلكَ فقدْ أراحَكُمُ اللّهُ مِنْهُ .

وكانَ أبو ذر خَلْفَ النبيّ عليهِ السَّلام، وهو يرْكَبُ دابّةً ضعيفةً فأبْطأتْ في سيرها، وتخلّف أبو ذرٍ بعد أنْ سبقهُ الرّكب[3] .

---

(١) نبراس: مصباح منير.

(٢) التملص: التخلص.

(٣) الركب: القافلة والموكب.

وحَاوَلَ بشتّى الوسائِلِ والطُّرُق أَنْ يدفَعَهَا لتُسْرِعَ ولكِنْ بدونِ نتيجة.

ولما تبيّنَ للمسلمينَ غيابُ أَبي ذرّ قالوا:

ـ تخلّفَ أبو ذرٍ يا رسولَ اللَّه...

فأَجابَهُمْ:

ـ إنْ كانَ فيهِ خيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بكُمْ.

وشعرَ أَبو ذرّ أنّه إذا بقيَ على ظهْرِ الدّابةِ فإنّه سيفْقُدُ كلّ أَثَرٍ للرّسولِ وصحْبِهِ. فنزلَ عنها، وحَمَلَ متاعَهُ وسلاحَهُ على ظَهْرِهِ وانطلَقَ يركُضُ مسرعاً ليَلْحَقَ بالمسلمين.

والتفَتَ أَحدهُم إلى الخَلْفِ فشاهَدَ رجُلاً يمْشي وحيداً فقال:

ـ يا رسولَ اللَّه...

إنّ هذا الرّجُل يمْشي على الطريق.

فقال النبي:

ـ كن أَبا ذر...

واقتَرَب أَبو ذر وهو يَلْهَثُ لشِدّةِ تعَبِهِ وإجْهادِهِ ، وعندَما عَرَفَهُ المُسْلِمونَ قالوا:

ـ يا رسولَ اللَّه. . .

هو واللَّهِ أَبو ذر.

عندَ ذلكَ، ارتاحَتْ نَفْسُ الرسولِ الكريمِ وقال:

ـ يرحَمُ اللَّهُ أبا ذر. . . .

يَمْشي وحْدَهُ. . . .

ويموتُ وحْدَهُ. . . .

ويُحشَرُ وحْدَهُ. . . . .

وبعد أَنْ انتقَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الرفيقِ الأَعلى حَزِنَ أَبو ذرّ حُزْناً قويّاً. فضاقَت المدينةُ المنورة في عَيْنَيْهِ. . . . وصدقَتْ نبوءَةُ الرسولِ الكريم. إِذْ خَرَجَ أَبو ذرٍّ منها ليحْيا وحيداً في الباديةِ، بعيداً عن النّاسِ وتصرُّفاتِهم وسلوكهم الدُّنْيَوي. . .

وبقي طيلةَ خلافةِ أَبي بكرٍ وعمر رضي اللَّهُ عَنْهُما في مكانِه المُنْعَزِل.

حتى إذا كانَتْ خِلافةُ عثمان بن عفان رضي اللَّهُ عَنْهُ نزلَ أَبو ذرٍّ إلى الشام في أَيامِ ولايةِ معاوية بنِ أَبي سفْيان فهَالَهُ[1] ما شاهَدَ. . .

---

(١) هاله: أهابه وأدهشه.

رأى المسلمينَ وقد أَبْطَرَتْهُم النّعمةُ واستَهْوَاهُم تَرَفُ العيش وزُخْرُف الدنيا. فانْغَمسوا في تَرَفِ العيش... وأَغْرقوا في حُبّ الدُّنيا وجَمْعِ المالِ ولبْسِ الحريرِ وبناءِ القُصورِ واقْتناءِ الجوارِي... فثارَتْ ثائِرَتُه... وانْدَفَعَ يهاجِمُ بلسانِهِ ذلك الانحراف.

وتذكّرَ نصيحةَ النبيّ الكريم... «اصْبر حتى تَلْقاني»... وعَمِلَ بتلك النصيحة، فمنَع سيْفَهُ عن الأمير المستغل... والحاكم المُنْحرِف... ولكنّه أَطْلَق العنان للسانِه يَفْضَحُ أَمْرَهُ ويُهاجِمُ سلوكهُ.

لقد ساءَهُ أَنْ يسْتَغِلّ أحدُ الناسِ مركزَهُ ليَجْنِيَ الثروة،... فنصّبَ نَفْسَهُ عدُوّاً للاستِغْلالِ مَهْما كانَ مركزُ المُسْتغِلّ كبيراً.

وضاقَ به المستغلّون لكَثْرةِ فضْحِهِ إيّاهم فاستدْعاهُ الخليفةُ عثمانُ بن عفان رضي اللَّهُ عنه إلى المدينةِ المنوّرة...

ولم يَستَطِع العيشَ في المدينةِ المنوّرةِ، وهو يُشاهِدُ النّاسَ تَخْتَلِفُ عن تلكَ التي عرفها وأَلِفها في أيّامِ النبيّ عليهِ السلام... فابتَعَد إلى «الربذة» وهو

مكانٌ بعيدٌ عن المدينةِ المنوَّرة. . . حيثُ أقامَ هناكَ بقيّةَ حياتهِ يتذكّر أيّامَهُ الحلوة مع رسولِ اللّهِ ﷺ حبيبهِ وخليلِه. . . ليعيشَ على تلكَ الذكرى الغاليةِ.

وظلّ طيلةَ حياتِه متمسّكاً بالزُّهدِ المُطْلَق والتقشفِ(١) الكامل. . . فلباسُه خَشِن. . . ومأكلهُ قليل. . . وحياتَهُ عبادةٌ وتأمُّلٌ. . .

دخَلَ عليهِ في أحدِ الأيّامِ رجلٌ من أصْحابِهِ. . وأخَذَ يتأمّلُ بيْتَهُ. فلمْ يجِدْ فيه أثاثاً أو متاعاً فقال:

ـ يا أبا ذر. . . أين متاعكُم؟

فأجابه:

ـ لنا بيتٌ هناك ـ يعني الآخرة ـ نُرْسِلُ إليهِ صالحَ متاعِنا.

ففهِمَ الرجلُ قصْدَهُ وتابَعَ يقول:

ـ ولكنْ. لا بد لكَ من متاعٍ ما دُمْتَ في هذهِ الدار (يعني الدنيا).

فأجاب:

ـ ولكنَّ صاحِبَ المنزلِ لا يَتْرُكُنا فيه. .

---

(١) التقشف: التقتير على النفس في المأكل والملبس.

تلكَ كانَتْ حياةُ أبي ذر. . فقد وجَدَ في الدُّنيا جسراً إلى الآخرة. . . وأرادَ أَنْ يعْبُرَ ذلكَ الجسر بنقاءِ نَفْسٍ وصِدْقِ قَوْلٍ وفِعْل.

وهو الذي قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ:

ـ «ما أَقلّت[1] الغبراءُ. . .ولا أَظلّت الخضراءُ من رجلٍ أَصْدَقَ من أبي ذر».

وفي إحْدى المرّات بعثَ إليه أَميرُ الشّامِ بثلاثمائة دينار وقال له:

ـ اسْتَعِنْ بها على قضاءِ حاجَتِك.

فردّها إليه وقال:

ـ أَما وجد أَميرُ الشّام عبداً للَّهِ أَهْوَن عليْهِ منّي.

٧ ـ الوحيد

ومَكَثَ أَبو ذرٍّ مع عائلِتِه في «الرّبذة» لا يغادرُها مُطْلقاً.

وصدقَتْ نبوءَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. . . ومات فيها

(١) أقلت: نقلته راكباً.

وحيداً في السّنةِ الثانية والثلاثين للهجرة.

وحارَ أَفْرادُ عائِلَتِهِ فيما يفعلون لدفنه... وبَيْنَما هُمْ كذلكَ مرّ من هناكَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعود ـ كانَ قادِماً من العراق إلى المدينةِ ـ مع بعضِ أَصْحابِهِ... فصلّى عليْهِ وتولّى دَفْنَهُ.

وهكذا غادر أَبو ذر هذهِ الدنيا، وعادَتْ روحهُ إلى خالقِهِ وهو الذي قالَ فيهالنبيُّ عليْهِ السّلام:ـ «أَبو ذرٍّ في أُمّتي على زُهْدِ عيسى ابنِ مريم».

* * *

رَحِمَ اللَّهُ أَبا ذرّ الغفاري... الزّاهِدَ العابد.... والمؤمِنَ التائب... والدّاعيةَ الصالح... فقد كانَ عموداً من أَعْمِدَةِ الصّرحِ الإسلاميّ العظيم...

المصادر والمراجع

١ ـ السيرة النبوية ابن هشام

٢ ـ البداية والنهاية ابن كثير

٣ ـ أسد الغابة ابن كثير

٤ ـ الإصابة العسقلاني

٥ ـ صور من حياة الصحابة خالد محمد خالد

٦ ـ صحيح البخاري البخاري

٧ ـ الطبقات الكبرى ابن سعد

الفهرس

سلسلة أعمدة الإسلام

١ ـ أبو بكر الصدّيق .
٢ ـ عمر بن الخطّاب .
٣ ـ عثمان بن عفّان .
٤ ـ عليّ بن أبي طالب .
٥ ـ عمر بن عبد العزيز .
٦ ـ سعد بن أبي وقّاص .
٧ ـ طلحة بن عبيد الله .
٨ ـ الزبير بن العوّام .
٩ ـ أبو عبيدة عامر بن الجرّاح .
١٠ ـ عبد الرحمن بن عوف .
١١ ـ سعيد بن زيد .
١٢ ـ حمزة بن عبد المطلب .
١٣ ـ زيد بن حارثة .
١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة .
١٥ ـ عبد الله بن جحش .
١٦ ـ عتبة بن غزوان .
١٧ ـ عبد الله بن مسعود .
١٨ ـ المقداد بن عمرو .
١٩ ـ خبّاب بن الأرتّ .
٢٠ ـ صهيب بن سنان الرومي .
٢١ ـ بلال بن رباح الحبشي .
٢٢ ـ عمار بن ياسر .
٢٣ ـ زيد بن الخطّاب .
٢٤ ـ عثمان بن مظعون .
٢٥ ـ أبو سبرة بن أبي رهم الأسلمي .
٢٦ ـ سعد بن معاذ .
٢٧ ـ عبّاد بن بشر .
٢٨ ـ محمد بن مسلمة .
٢٩ ـ عاصم بن ثابت .
٣٠ ـ خالد بن زيد .
٣١ ـ أبي بن كعب .
٣٢ ـ عبد الله بن رواحة .
٣٣ ـ بشير بن سعد .
٣٤ ـ عبادة بن الصامت .
٣٥ ـ معاذ بن جبل .
٣٦ ـ أُسيد بن حضير .
٣٧ ـ العباس بن عبد المطلب .
٣٨ ـ جعفر بن أبي طالب .
٣٩ ـ أبو سفيان بن الحارث .
٤٠ ـ أسامة بن زيد .
٤١ ـ سلمان الفارسي .
٤٢ ـ خالد بن سعيد بن العاص .
٤٣ ـ أبو موسى الأشعري .
٤٤ ـ شرحبيل ابن حسنة .
٤٥ ـ عبد الله بن عمر بن الخطّاب .
٤٦ ـ عبد الله بن حذافة .
٤٧ ـ عمير بن وهب الجمحي .
٤٨ ـ أبو ذرّ الغفاري .
٤٩ ـ الطفيل بن عمرو .
٥٠ ـ خالد بن الوليد .
٥١ ـ عمرو بن العاص .
٥٢ ـ سعيد بن عامر الجمحي .
٥٣ ـ نعيم بن مسعود .
٥٤ ـ المغيرة بن شعبة .
٥٥ ـ سلمة بن الأكوع .
٥٦ ـ أبو هريرة الدوسي .
٥٧ ـ حذيفة بن اليمان .
٥٨ ـ البراء بن مالك .
٥٩ ـ عبد الله بن سلام .
٦٠ ـ سماك بن خرشة .
٦١ ـ عياض بن غنْم .
٦٢ ـ عمرو بن الجموح .
٦٣ ـ عمير بن سعد .
٦٤ ـ غالب بن عبد الله .
٦٥ ـ فرات بن حيّان .
٦٦ ـ القعقاع بن عمرو .
٦٧ ـ يزيد بن أبي سفيان .
٦٨ ـ عكرمة بن أبي جهل .
٦٩ ـ حكيم بن حزام .
٧٠ ـ خُبيب بن عديّ .
٧١ ـ الربيع بن زياد .
٧٢ ـ سراقة بن مالك .
٧٣ ـ عبد الله بن الزبير .
٧٤ ـ أبو العاص بن الربيع .
٧٥ ـ زيد بن سهل .
٧٦ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر .
٧٧ ـ مصعب بن عمير .
٧٨ ـ عبد الله بن العباس .
٧٩ ـ عديّ بن حاتم .
٨٠ ـ زيد بن ثابت الأنصاري .
٨١ ـ حبيب بن زيد .
٨٢ ـ ثمامة بن أثال .
٨٣ ـ ثابت بن قيس .
٨٤ ـ أنس بن مالك .
٨٥ ـ سهيل بن عمرو .
٨٦ ـ ضرار بن الأزور .
٨٧ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام
٨٨ ـ عمرو بن معديكرب .
٨٩ ـ المثنى بن حارثة .
٩٠ ـ النعمان بن مقرّن .
٩١ ـ عويمر بن مالك (أبو الدرد
٩٢ ـ جرير بن عبد الله البجلي
٩٣ ـ سعد بن عُبادة .
٩٤ ـ مجزأة بن ثور .
٩٥ ـ الأقرع بن حابس .